"خلف الفروقات تظهر التشابهات في كل مكان"

صادق جلال العظم في حديث مع كريستيان ريدر

في كتابه الوحيد الصادر باللغة الألمانية بعنوان "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، يصف صادق جلال العظم بداياته الفكرية الأساسية بأنها محاولة لجوجة لربط "موقف الماركسيين اليساري بنقد ديني ذي حلة راديكالية تنويرية".

بسبب هذه الروح التي وضع فيها مؤلفاته – مثل "النقد الذاتي بعد الهزيمة" (١٩٦٨) أو "نقد الفكر الديني" (١٩٦٩) – لحقت به صعوبات جمة والسمعة بأنه "زنديق دمشق". لكن أيضاً جعلت منه فيلسوفاً عربياً له مكانته ومحللاً بارزاً للمجتمعات العربية والمجريات العالمية. يشكل التنبؤ الصائب لكارل ماركس "بأنه لن يكون بمقدار أية تشكيلة اجتماعية – اقتصادية في مرحلة ما قبل الرأسمالية أن تقاوم التغلغل والزعزعة من خلال النظام الاجتماعي – الاقتصادي الجديد للرأسمالية الأوروبية" أهمية خاصة عنده. بضعة تكهنات فقط في مجال العلوم الاجتماعية والتاريخية أثبتت – حسب قناعته – أنها كانت واعية ومدركة لهذا الأمر.

يعتبر صادق جلال العظم، بالإضافة إلى آسيا جابر وادوارد سعيد وأمين معلوف (الذي ينشر له نص حديث في هذا الكتاب)، في عداد حوالي تسعين مؤلفاً ومؤلفة ذوي خلفية ثقافية عربية أو إسلامية، نادوا، على غرار سلمان رشدي، بحزم بالحريات الفكرية والفنية. وقد جاء في تقرير له حول الفتوى الصادرة في إيران بحق هذا الكاتب أنها "شأن من شؤون الدولة، والسياسة والثورة، وليست قضية إيمان أو لاهوت إسلامي أو قوانين الشريعة".

إنه ينظر إلى سلمان رشدي "كمدافع رائد عن وعي ناقد للثقافة والتاريخ الإسلاميين" تماماً كما كان الأمر عند رابليه أو جويس في أوروبا. من التصورات الشائعة في المنطقة تزعجه بالدرجة الأولى النماذج التقليدية والنظرة المستمرة تجاه بقية العالم كشيء آخر مختلف ، لأن "الحياة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي ليست أبداً إسلامية تقليدية ومتدنية بالضرورة وتحث على الركود الفكري، كما تريد الدراسات والتفاسير والشروح أن تدفع المرء إلى الاعتقاد".

بهذا المعنى يناقش العظم عندما يتعلق الأمر بحالة الصراع المتأزمة مجدداً في الشرق الأوسط. وجاء التصديق على مقالته المفصلة حول ذلك في The New York Review of Books ("رأي من دمشق"، تاريخ ١٥ حزيران و ١٠ آب ٢٠٠٠) من قبل جهة إسرائيلية رفيعة المستوى، من إتمار رابينوفيتش رئيس جامعة تل أبيب، بأنها "رائعة في العديد من الجوانب وهامة، وبشكل خاص كمساهمة قيِّمة جداً في إلقاء الضوء على عمق وشمولية النقاش السوري حول السلام مع إسرائيل". وبهدف تذكر عام ٢٠٠١ الدراماتيكي تمت دعوته إلى ألمانيا إلى برنامج "وقت للثقافة" Kulturzeit الذي تبثه المحطة التلفزيونية الفضائية الثالثة، وحاول بحضور كل من بيتر شتولرديك وسلافوي زيزك وزيغريد فايجل ودتلف كلاوزن أن يُسمِع وجهة نظره "كمراقب من الخارج" وأن يوجه الاهتمام أحياناً من التصورات اليهودية – المسيحية – الإسلامية ذات الطابع الديني – كما وصفها – إلى بقية العالم. وعندما حان دور أدورنو في الكلام أثبت له "نوعاً من تمركز أوروبي أعمى حول الذات". وقد اعترف أمام جمهور من الناطقين بالألمانية بأنه وقف مضطرباً حيال المفهوم المثير للانتباه حول "الانسجام الخاص للغة الألمانية مع الفكر الفلسفي الجاد". وأضاف بأنه من الهراء الخالص أن نرى في الإرهاب نتاجاً لثقافات أخرى، لأنه في كل مجتمع توجد مثل

قوى العنف هذه، وليست هناك حاجة لوجود خلفية دينية. فهو كسلاح للضعفاء، كاستعداد للموت في سبيل قضية، له بعد وتاريخ أشمل مما يعكسه الإسقاط الحالي على الغرباء. نكتفي بهذا التعليق على مساهماته النادرة في النقاشات الدائرة في الأوساط الناطقة بالألمانية.

التقيناه في أيار ٢٠٠٢ في دمشق. والنص التالي عبارة عن خلاصة للحديث الذي دار بيننا هناك باللغة الإنكليزية.

كريستيان ريدر: نطلق على مشروعنا اسم "مشروع ترانسفير دمشق" للتأكيد على عمليات التبادل التي نطمح إليها ، بمعنى القدرات الحضرية وبمعنى المجالات المترابطة والمتراكمة. وللتحرك بين مثل هذه الأجواء فإن للتداعي أهمية خاصة هنا. فهل في العربية مثل هذه المعاني الدقيقة لعبارة "ترانسفير"؟

صادق جلال العظم: كاصطلاح حيادي مأخوذ عن الإنكليزية يفهم منه عمليات النقل. وهناك اصطلاحات عربية له. في الوضع الراهن تستدعي العبارة الإنكليزية، إذا ما استخدمت باللغة العربية، فوراً تداعياً مع خطة أريل شارون لترحيل الفلسطينيين عبر الأردن نحو الشرق، كما تطالب مجموعات يمينية متطرفة في إسرائيل. فهذا "الترحيل" له عندنا معاني سلبية إلى أبعد الحدود، ولا تستخدم هذه العبارة إلا في هذا السياق. كما ان عبارة "ترانسفير" واردة بمعنى اتصال، نقل، توسط، تفاعل.

من وجهة نظر تاريخية تعتبر سورية والبلدان المجاورة لها مناطق نموذجية للترانسفير.

بالتأكيد. لذلك نطلق على أنفسنا اسم "الشرق الأوسط" كإشارة إلى مستويات التوصيل هذه، إلى الوقوف في الوسط.

أنديرا غاندي رفضت هذا الاصطلاح أمام أمين معلوف وتحدثت عن غرب آسيا كما سنقرأ لاحقاً في هذا الكتاب.

إن قبولنا بهذا الاصطلاح الأوروبي يرتبط بفهم الحضارة العربية ودورها في نقل العلم الإغريقي Antike إلى النهضة الأوروبية. إذ لم تدع الشعلة تنطفئ، بل حملتها في وقت كانت

صادق جلال العظم، ولد في دمشق عام ١٩٣٤، درس في بيروت. يدرّس الفلسفة في جامعة دمشق منذ عام ١٩٧٧. أستاذ زائر في كل من نيويورك، بيروت، عمان، برينستون، هارفارد، اليابان، برلين.

هناك الآن أسئلة عملية للطرح: هل تجيد الحكومات في العالم العربي صنعتها؟ وماذا تقدم لبناء المجتمع المدني؟ وما هو موقفها من حقوق الإنسان؟ وإلى أي مدى تسمح بالشفافية والديمقراطية؟

صادق جلال العظم، في مجلة "دير شبيغل" هامبورغ، العدد ٢٣ ، ٢٠٠٢/٦/٣.

إذا ما تحقق السلام يوماً فلن يكون سلام الشجعان بل سلام المنهكين.

صادق جلال العظم، في "وجهة نظر من دمشق" The New York Review of Books ، ١٥ حزيران ٢٠٠٠.

فيه أوروبا تمر بأوقات مظلمة وأضافت إليه الكثير من صنعها. إذن فالنظر إلى العرب على أنهم كانوا مجرد ناقلين للعلم هي نظرة غير صائبة، فلم يكونوا مجرد وسطاء، بل أيضاً فاعلين في هذه العمليات الثقافية. واضح أن الحديث عن شرق أدنى وأوسط وأقصى منشأه تمركز أوروبي حول الذات eurozentrisch. أحياناً فقط تتسامى مثل هذه المفاهيم وتستخدم بأسلوب كأنه بريء، دون أن يلعب منشأها من وجهات نظر أوروبية أي دور. أما عبارة غرب آسيا فلا تصلح لدينا، نظراً لأن مصر تعني بالنسبة لنا جزءاً من الشرق الأوسط، لكنها تقع في إفريقيا، لذلك فهذه التسمية لا تتناسب مع مفهومنا الذاتي وهي بالتالي تمركز هندي حول الذات Indozentrisch. كما أنها تتطرق إلى العلاقة مع منطقة البحر المتوسط، وهذا يشكل بعداً هاماً جداً في تصوراتنا، يعود إلى أيام الاسكندر الكبير، حتى روما القديمة. فربما لدينا في سورية ولبنان من الآثار الرومانية أكثر مما في إيطاليا نفسها، كما أن إسبانيا الإسلامية تشكل عاملاً، والمغرب أيضاً. من أوروبا جاء الصليبيون وجاءت الحداثة. وكل ذلك يشكل عاملاً حاسماً بالنسبة لوجودنا. كانت هناك دائماً وأبداً عمليات ترانسفير، وبكل الاتجاهات. وإذا ما فهمنا المنطقة على أنها غرب آسيا لبقيت أمكنة كثيرة أخرى خارج الدائرة. وهذه كانت وجهة نظري أمام من تحدثت إليهم من الهنود الذين يريدون أن يروا فينا غرب آسيا. والشيء الملفت للنظر هو أنهم غالباً ما يفكرون كما يفكر المستشرقون الأوروبيون، فأول ما يرونه هو الإنجازات الثقافية والعلمية للهند الكلاسيكية، بالدرجة الأولى اختراع الصفر، وينظرون إلى العرب كمجرد ناقلين باتجاه الغرب. بذلك نعود إلى مجال موضوعنا الذي هو "ترانسفير"، الذي إذا لم نر فيه سوى عمليات نقل بسيطة لكان ذلك ظلماً. لقد كانت عمليات في غاية التعقيد والإثراء متعدد الأشكال أدت في النهاية إلى خلق ظروف مواتية لصعود أوروبا الحديث.

هناك أيضاً مشاكل في الاصطلاحات عند توصيف التشكيلات الاجتماعية، فالحديث عن بلدان ذات توجه إسلامي هو أيضاً موضع تساؤل في العديد من جوانبه، تماماً كالحديث عن عالم عربي، الذي اعتبرت كل من تركيا وإيران أو أفغانستان ثم الأكراد والبربر والإندونيسيين ضمنياً في عداده، والانطلاق عن دول ذات توجه مسيحي في أوروبا يبقى قضية معلقين ذوي مواقف إيديولوجية تناسب هذا التوجه.

إن المجتمعات الأوروبية هي مجتمعات ما بعد المسيحية. هذا هو انطباعي على الأقل. أما بالنسبة لبلدان الشرق الأوسط فلا توجد كلمة مناسبة بهذا المعنى. فواقعها متنوع الوجوه لا يمكن فهمه في هذا التصور. حتى نحن أنفسنا نبدل- نتيجة ذلك- باستمرار من الاصطلاحات، وهذا متعلق بالسياق. إننا نعني بعبارة أمة عربية، أو وطن عربي، فكرة العروبة. أما عبارة عالم عربي فتعني لنا الروابط الثقافية ومستويات الشعور والحنين والحياة اليومية، على غرار الطابع اللاتيني لأمريكا اللاتينية، التي هي أيضاً تظهر عدم تجانس بارزاً، فالناس هناك ذوو نزعة كاثوليكية، يتكلمون الإسبانية أو البرتغالية، تشكلت لديهم خصائص معينة، ورغم ذلك لا يمكن الحديث في كلا الحالتين عن توحدية.

أحياناً يكون الحديث بكل بساطة عن المنطقة العربية، إذا ما حددنا ذلك بالدرجة الأولى على أساس الرابط الجغرافي، كما فعل مترنيخ بالنسبة لإيطاليا الناشئة، وهنا تدخل الخلافات والتشرذم وعدم التنسيق. الرابط هو بالدرجة الأولى المنطقة التي نعيش فيها. بالتأكيد هناك أيضاً بعد إسلامي. في البلدان التي نعنيها يشكل المسلمون أغلبية سكانها والإسلام هو بالفعل دين فعال له أهمية كبيرة في حياة الناس وسلوكهم، وقيمهم. على أية حال لم يصبح الإسلام حتى الآن فولكلوراً. كما أن عالم حياة المسيحيين واليهود والإنسان العلماني بشكل مطلق، مطبوع في هذه المنطقة بالطابع الإسلامي. فأنا أعرف مسيحيين يقولون، نحن، من حيث الثقافة مسلمون بنسبة ٨٠٪. وعلى مدى أجيال أسفرت الحياة الجماعية الثقافية عن مثل هذه التراكمات. وبناء على هذه الحقائق يصبح البحث عن توصيف صحيح أقرب ما يكون إلى مغامرة لا أمل منها.

يبدو أن وصف مثل هذه المجتمعات بأنها ذات توجه إسلامي، مصيب بلا شك من هذه الناحية.

بودي أن أحكم على ذلك حسب الحالة، حسب السياق المعني. فالتقليل من شأن هذه الأبعاد المتنوعة كثيراً ما يكون خداعاً. سوريا على سبيل المثال كانت يوماً مسيحية وبيزنطية، وهناك ظروف ما قبل إسلامية ما يزال لها مفعولها. أخيراً ينطبق ذلك أيضاً على إيران، فمن يدرس مجتمعها بعناية، سيكتشف، تحت سطح الإسلام الشيعي، العديد من النواحي التي تشير إلى أشياء أقدم بكثير.

كثيراً ما تضيع مثل هذه الاختلافات في وسائل الإعلام بشكل حتمي تقريباً. فالمجال المفتوح يضيق ثانية ليقتصر على وجهات النظر التي تتم الدعاية لها. ففي محطة التلفزيون العربية "الجزيرة" رأيت تقارير عن الحرب في أفغانستان، أكثر منها دراماتيكية منها في أي محطة أوروبية، ولم تنقل في الغرب. فقلما يحدث تبادل أو حوار مع مواقف أخرى، رغم الإمكانات الإعلامية العالمية.

سأتطرق إلى ذلك من خلال تجربة شخصية، فعندما كنت قبل سنوات أستاذاً زائراً في برينستون قلت للدارسين حول هذا الموضوع: هناك في الاتحاد السوفييتي خط رسمي ولكن لا أحد يوليه أهمية، وفي الولايات المتحدة لا يوجد خط رسمي ولكن كل شخص يعتقد فيه. وفي برنامجي حول الشرق الأوسط في القرن العشرين أقمت وزناً كبيراً لتحليل المواقف الهامة حيال الاستعمار تحليلاً دقيقاً. ولكن ظهر أخيراً أن ذلك كان في غاية الصعوبة رغم التقاليد الأمريكية في النظر إلى النقد والنقد المضاد كأساس للحياة الفكرية. فدائماً وأبداً انغرس في الأذهان ما يمكن أن نسميه نمط الرؤية الرسمي، كوجهة نظر موحدة لا تراعي إلا المصادر العادية. فمعرفة موقف المستعمرين، تلميحاً على الأقل، كان صعباً على الجميع تقريباً. مثلاً كان من الصعب جداً التوصل إلى فهم أحوال مصالح المصريين في ظل الاحتلال البريطاني، رغم أن مصر كانت منذ القرن التاسع عشر بلد الإصلاح المشع في المنطقة.

بالتأكيد يوجد في سورية جبهة رفض قوية، من أولئك الذين يرفضون وجود إسرائيل. وحسب اعتقادي الراسخ يشكلون قلة، لكنها موجودة.

صادق جلال العظم، في "وجهة نظر من دمشق" The New York Review of Books، ١٥ حزيران ٢٠٠٠.

النموذج الوحيد الذي عرضه الإسلاميون هو أفغانستان في ظل الطالبان. ولكن لن يجدوا في العالم العربي أحداً يدافع عن هذا النموذج بجدية. فالمشروع قد أجدب وتم دحره.

صادق جلال العظم، في مجلة "دير شبيغل"، هامبورغ، العدد ٢٣، ٢٠٠٢/٦/٣.

إذا ما امتدت الرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية التي أنتجتها الحداثة الأوروبية إلى الشرق الأوسط الإسلامي، فإن هذه المجتمعات والثقافات التي سيظهر فيها أثرها لن تكون أبداً مختلفة جذرياً عن المجتمعات والثقافات في بلدان منشأ هذه القوى.

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة - التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣، ص٧٩.

الوعي الذاتي السياسي في العالم العربي هو منذ سنوات في الحضيض. وفي هذه الحالة فإن الخروج إلى الشارع والتظاهر تأييداً للفلسطينيين المضطهدين يحرر الناس أيضاً من الاضطهاد الذي يتعرضون له هم ذاتياً. يكشف هذا الحماس الجديد عن نفاق الفئات الحاكمة ويطلق سراح الطاقات السياسية.

صادق جلال العظم، في مجلة "دير شبيغل"، هامبورغ، العدد ٢٣، ٢٠٠٢/٦/٣.

إن "القيم الجوهرية" للغرب لم تكن دائماً كما تعتبر الآن، وما يسمى "بالقيم الأصلية" عند المسلمين ليس من الضرورة أن تبقى كما كان يظن أنها كانت.

عثرت على تصريح صادر عن زعيم الطوارق في الثمانينات، مانو داياك، بأنهم ربما كانوا قد سلكوا سلوك المستعمرين لو كانوا في مكانهم "وربما أكثر قسوة، من يعلم ؟". فالشعور بالوقوف إلى جانب المضطهدين هو مطلب قلما يمكن تحمله دون مثل هذه المفاهيم، لكنه يبقى ضرورياً كمنظور.

كثيراً ما حدث في التاريخ أن تحول المضطهَد إلى مضطهِد. وهذا لا يغير شيئاً في المسألة الأساسية. وقلما تبرز في وسائل الإعلام الغربية، حتى ولو ظهرت من حين إلى آخر، بوادر مثل تلك النوايا. والشيء الذي يحدد ميول إعداد التقارير هو الخط الرسمي غير الرسمي، كما أسميه. فوسائل الإعلام ليست مؤسسات معزولة ومحدودة، فهي موجودة ضمن نسيج من ألعاب السياسة والنفوذ ومحاولات الخداع والإكراه على الإبراز. ولتوسيع الأفق، الأخذ عن محطة الجزيرة مثلاً، هو ضروري للغاية، كما قلتم. فنوعية هذه المحطة تظهر من خلال أن هناك عملياً دائماً وأبداً صراعات مريرة مع جميع الحكومات العربية. تتعرض هذه المحطة دائماً للهجوم لكنها تتحمل ذلك. إن نموذج اتخاذ موقف انتقادي حاد من الآخرين، وفي الوقت نفسه منع الانتقاد في مجال نفوذها، هو صفة مميزة لمعظم الأنظمة والحكومات في المنطقة. ويعتبر وصم المنتقدين بالعمالة لقوى أجنبية قضية مكررة.

هذا معروف بالنسبة لي أيضاً من المحيط الذي أعيش فيه. رغم ذلك فمن المعروف أن الكثيرين من المنتقدين من الشرق الأوسط يعيشون في الغرب، لأنهم تعرضوا لضغط شديد في بلدانهم، وقلما يجدون فرصة. ولو أخذ هذا المنفى في أوروبا مأخذاً بنّاءً، لاستطاع الطرفان الإفادة منه كقوة لأوجه من التعاون في المستقبل. لكن هناك من يوقد النيران تحت المخاوف من الغرباء ليكسب الانتخابات. وهؤلاء أنفسهم يتباهون بعلاقاتهم الجيدة مع المنطقة العربية.

هناك سبب بسيط يجعل من شخص ما مقبولاً هنا مثل السيد هايدر، ألا وهو موقفه المناهض لإسرائيل. وإذا ما شابت ذلك مواقف عنصرية، يجب أن يؤخذ بالحسبان، وبأسلوب ساخر، بأن العنصريين لن يتوجهوا ضد اليهود فقط، بل أيضاً وبالقدر نفسه ضد كل الآخرين، ضد العرب، وضد الباكستانيين والآسيويين والأفارقة وهكذا. العرب يقعون بسهولة في المصيدة، إذ يرون في قوى اليمين الأوروبي عدو عدوهم، فيعتقدون أن ذلك يمكن أن يكون مفيداً لهم. وهذا يعتبر خطير وغير مبدئي وقصر نظر.

ثمة مواقف انتقادية تجاه الحكومات الإسرائيلية ممزوجة حتى في أوروبا بصبغات يمكن أن نقول عنها انها لا سامية. فحدود الحياء تتراجع مرة أخرى بشكل واضح، بعد أن بدا وكأن الكثير منها قد تم تجاوزه.

يجب أن يكون معلوماً أن اللاسامية أصلاً هي مسألة أوروبية، حتى الكلمة المعبرة عنها جاءت من أوروبا. إذا ما نظرنا الآن إلى الصور الكاريكاتورية العربية عن اليهود يتضح مدى اعتمادها على نماذج أولية من ألمانيا ومن فيينا. فقد كانت موجودة قبل العهد النازي بمدة طويلة. ومثل هذه الكليشات مستوردة. كان عندنا أيضاً صراع بين المسلمين واليهود وبين المسلمين والمسيحيين، بين الأتراك والأكراد، وما تزال بعضها قائمة، ولكن لم يحدث أبداً أن كان هناك اضطهاد منظم على غرار ما حدث باسم اللاسامية. ولم تنشأ أحزاب سياسية ذات برامج عنصرية.

إن الحديث عن العروق بشكل عام، عما يسمى بالفروق الجينية، لم يعد قادراً أن يكون مجال بحث. وكتيار خفي يعود هذا الإرث الفكري للظهور في كل مكان. حتى في مجتمعات متنورة هناك ما يقرب من ٢٠٪ من السكان عندهم استعداد لذلك. أية مفاهيم حول الاختلاف والتشابه يمكن أن تصادف المرء ؟ فلو كنا قد بدأنا حديثاً في أي من المطارات، لما استطاع أحدنا أن يصنف الآخر حسب نشأته. وهنا تكمن بالفعل درجات سارة من الحرية.

بديهي أن تكون التشابهات بالنسبة لنا على المدى الطويل هامة بشكل خاص، بغض النظر عن منطقة البحر المتوسط، ناتجة عن العلاقات الثقافية القديمة. لنأخذ مثلاً الحجاب، المنديل الذي يشكل غطاء للرأس كإشارة مرئية

للاختلاف. الكثير منا يطلق عبارة "راهبات" على النساء والفتيات اللواتي يرتدين الحجاب، قياساً على عادة اللباس المسيحي المعروف. خلف هذا الاختلاف تبدو هناك تشابهات في كل مكان. وإذا ما تقدمنا خطوة إلى الأمام يخطر في بال المرء أن المسيحية نشأت من الشرق الأوسط. لذلك فالحديث يتم في المناطق الأنكلوسكسونية بالدرجة الأولى أيضاً عن تقاليد- يهودية-مسيحية أصلها من عندنا. إن النظر إلى الإسلام باعتباره امتداداً لها ، كما يفعل المسلمون، يجب إذن أن لا يصطدم بالقصور التام عن الفهم. لقد أخذت أوروبا دينها من هنا، وأخذنا نحن منها التنوير وجميع مظاهر الحداثة. فالتفاعل الديالكتيكي بين جانبي البحر المتوسط لم ينتج عنه مجرد اختلافات، بل تشابهات عديدة لا يمكن التغاضي عنها. ابراهيم، أفلاطون، أرسطو والمسيح هم، إن صح التعبير، أجداد مشتركون. وليست هناك من حاجة للتأكيد على مدى التشابه بين الناس.

لكن الأسماء غير المألوفة تسبب صعوبات، إذ يصعب على الغربيين تذكر أسماء عربية بكتابتها الصحيحة، يضاف إلى ذلك أيضاً ندرة وجود تبادل فكري مستمر.

لكن أسماء عديدة مستخدمة في كل مكان أصلها من منطقتنا مثل: ماريا، يوحنا، بطرس، بولس، كريستوف، توما، جورج ..... .

... حول جورج وغيره هناك مقالة في هذا الكتاب، لهذا السبب بالذات.

إن اقتفاء مثل هذه الآثار يمكن بلا شك أن يعلمنا أشياء مثل أن جورج باللغة الفرنسية ينتهي بـ S غير منطوقة، جاء ذلك عبر اليونانية من العربية مباشرة، من جرجس أو جورجس.

إن الانتشار العالمي لمثل هذه الأسماء يعتبر كناية عن العولمة، حتى ولو لم يهتم أحد بمصدرها. وباعتبارها تباعداً بين المميزين والمغبونين فإن فيها أيضاً تداخلات مثيرة. هل بإمكانكم أخيراً أن تعلقوا بوجهة نظركم على مثل هذه الاتجاهات ؟

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣، ص٤٩.

ربما لسنا بحاجة إلى التنويه بأن هذا الشكل من اللاسامية أكثر تأصلاً في الأشكال المتكررة في الأصولية المسيحية – كنيسة الروم الكاثوليك والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والبروتستانتية –منها لدى الإسلاميين.

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣، ص١١٣.

... حقيقة أنه ليس ببعيد أن "عشيق الليدي شاترلي" لم يكن شراؤه ممكناً بصورة شرعية، وللتذكير تقول: "انه في الوقت نفسه صدرت روايات هنري ميللر عن دار النشر أولومبيا في باريس وعلى غلافها إشارة المنع التالية: "غير مسموح بإدخالها إلى بريطانيا والولايات المتحدة".

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣، ص٤٩.

يتخذ رشدي – كما اتخذ قبله رابليه – في كتاباته النثرية الموقف الأكثر تقدمية من كافة الصراعات الكبيرة في عصره، سواء أكانت على المستوى السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي أو الفكري أو الديني أو العلمي.

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣، ص١٦.

من حيث الجوهر يتعلق الأمر بالنسبة للعولمة وبكل وضوح بعملية اقتصادية عنيفة. إنها عاصفة تهب من المراكز باتجاه البلدان الفقيرة في الهوامش. فالنخب العالمية تسود عالم الأعمال والمال والتسويق والعلم والتقنيات، أما منشأها وثقافتها ودينها فلا تعبأ بها، فاللغة السائدة هي الإنكليزية. وإذا ما استمر ذلك فسيكون هناك دائماً المزيد من المؤلفين والكتاب والشعراء والفنانين، سواء أكانوا رجالاً أم نساء، يتجاوبون مع الحاجات الفكرية لهذه النخب غير المتجانسة، لكنها تعمل معاً على المستوى العالمي. وسيكون لذلك آثاره الثقافية، وبلا شك أيضاً الإيجابية "الملزمة". لنأخذ الكتب الصادرة مؤخراً مثل "الاستشراق" لادوارد سعيد، "آيات شيطانية" لسلمان رشدي، "نهاية التاريخ" لفوكوياما، "صراع الحضارات" لهنتينغتون، كلها كتبت بالإنكليزية ونشرت في الولايات المتحدة الأمريكية. وبذلك تم تحقيق بريق عالمي غير مسبوق. كل هذه الكتب نوقشت فوراً في كل أنحاء العالم، في كل البلدان. ولا أتذكر مثالاً سابقاً على ذلك سوى كتاب باسترناك "دكتور زيفاكو"، لكن ذلك كان إحدى قضايا الحرب الباردة. أولاً وبغض النظر عن النوعية، فإن هذه العالمية المباشرة هي الشيء الجديد في ذلك. ويتضح ذلك بشكل خاص من خلال آيات سلمان رشدي الشيطانية.

كان لدينا في العالم العربي مجموعات من الكتب التي أسفرت عن فضائح أدبية أو دينية ضخمة، لكن لقضية داخلية. وإذا ما كان الأمر يتعلق بنقد الدين فلم يكن الأمر يختلف عنه في أوروبا. لكن موقف رشدي جديد، وكذلك نظرته كمزيج من الشرق المتدين والغرب العلماني، فالغرب يرى في ذلك أنه "فضيحتنا" كإشارة إلى التخلف. لكن في الحقيقة فإن الجهتين، ولأول مرة، مشمولتان فيها كلياً. من الجانب الإسلامي لا ينظر إلى رشدي كمسلم، رغم أنه مسلم طبعاً. يقوم الغرب بتقديم الحماية البوليسية له، ولكن ليس لمسلم منشق، كما نراه نحن، بل كقضية قائمة بذاتها. بذلك تظهر وجهات النظر المنتشرة التي بدأت بها والتي سوف تتواجد أكثر فأكثر.

ist; vom Westen wird er polizeilich beschützt, aber nicht als muslimischer Dissident, so wie wir ihn sehen, sondern als eigenes Objekt. Schon darin zeigen sich die von ihm kenntlich gemachten übergreifenden Momente, um die es mehr und mehr gehen wird.

Sadik J. Al-Azm: Unbehagen in der Moderne. Aufklärung im Islam, Frankfurt / M. 1993

صادق جلال العظم، "عسر الحداثة – التنوير في الإسلام"، فرانكفورت، ١٩٩٣.

For Rushdie. Essays by Arab and Muslim Writers in Defense of Free Speech, New York 1994

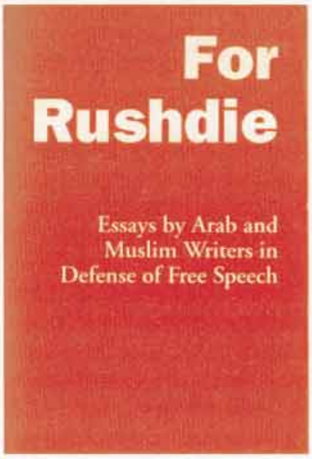

بالنسبة لرشدي. مقالات لكتّاب عرب ومسلمين دفاعاً عن حرية التعبير. نيويورك، ١٩٩٤.